منشورات المركز الأكاديمي للدراسات الثقافية والأبحاث التربوية

البلاغة العربية
وآفـــاق تحليـــل الخطاب

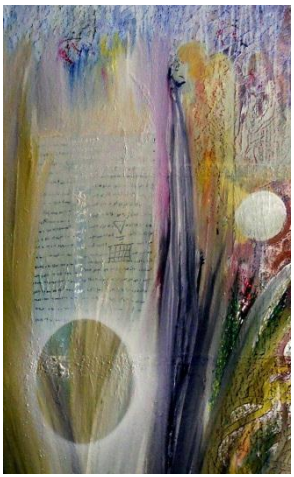

تنسيق

المهدي لعرج حنان المراكشي

محمد الفتحي مصطفى شميعة

فاس ٢٠٢٠

فهرس الموضوعات

تقديم: 3
- البلاغة العربية وامتداداتها..... 7
البلاغة والمجتمع ، قراءة في بعض إسهامات د عماد عبد اللطيف.
د. عادل عاللطيف..... 8
كتاب تحليل الخطاب البلاغي : دراسة في تشكل المفاهيم والوظائف.
د. علي المصلاوي وأ د: كريمة نوماس محمد النمري..... 15
من الوظائف البلاغية إلى البلاغة الوظيفية ،
د. محمد غازيوي..... 33
أطر النقد البلاغي العربي المعاصر في مشروع عماد عبد اللطيف.
ذ. محمد يطاوي..... 46
قراءة تحليلية وصفية لكتاب " البلاغة والتواصل عبير الثقافات" للدكتور عماد عبد اللطيف
د. مسعود غريب..... 62
أهمية التواصل بين الثقافات والحضارات ودور البلاغة ، دراسة ذرائعية مستقطعة في كتاب "البلاغة والتواصل عبر الثقافات" للدكتور عماد عبد اللطيف،
د. عبير خالد يحيى..... 83
تحرر البلاغة أو نقض أسس الخطاب الرسمي
ذ محمد الوظيفي..... 102
رؤية الدكتور عماد عبد اللطيف للتواصل بين الثقافات من خلال كتابه " البلاغة والتواصل عبر الثقافات"
د خالد التوزاني..... 117
- مفهوم بلاغة الجمهوروتطبيقاته..... 137
البلاغة والخطابة السياسية المعاصرة، قراءة في كتاب "الخطابة العربية السياسية في العصر الحديث" لعماد عبد اللطيف.
ذ عبدالوهاب صديقي 138
ملامح تجديدية في البلاغة وتحليل الخطاب، قراءة في مشروع بلاغة الجمهور لعماد عبد اللطيف
د. نزهة خلفاوي..... 146
بين بلاغة الجمهورونظرية التلقي ، تكامل أم تمايز؟
ذ. حسين البعطاوي..... 157

فاعلية استجابة جمهور مواقع التواصل الاجتماعي في تغيير الخطاب، قراءة في مشروع الدكتور عماد عبد اللطيف
د. ماجد صلاح 186
بلاغة الجمهور: نحو بناء فرضية ذهنية جديدة.
د. عبد الكبير الحسني..... 203
فلسفة الحوار، تأسيس لبلاغة الجمهور في كتاب "البلاغة والتواصل" لعماد عبد اللطيف .
د. نعيمة سعدية..... 212
نظرية بلاغة الجمهور عند عماد عبد اللطيف وعلاقتها بالسيميائيات
د. ماجد قائد قاسم..... 242
بلاغة الجمهور بين الرؤية و المنجز و الطموح
ذ عادل المجدلاوي..... 267
- تحليل الخطاب السياسي..... 308
مقاربة الخطاب السياسي، قراءة في أعمال د عماد عبد اللطيف
ذ. فضيل ناصري..... 309
وظائف الاستعارة في الخطاب السياسي من منظور د عماد عبد اللطيف.
د بلخير شنين..... 322
تحليل الخطاب السياسي، قراءة في أعمال الدكتور عماد عبد اللطيف
د فؤاد أعلوان 337
- إشكالية تدريس البلاغة العربية..... 350
الرؤية الحداثية في تدريس البلاغة العربية – عماد عبد اللطيف نموذجا .
د نصيرة شيادي..... 351
تدريسية البلاغة العربية، قراءة وتعقيب على مقال " تدريس البلاغة العربية التاريخ، الحاضر، المستقبل
ذ.أيوب الظهراوي..... 362
تدريسية البلاغة العربية : المفاهيم وأساليب الأجرأة. قراءة في مشروع د عماد عبد اللطيف.
د. نور الدين ناس الفقيه..... 376
بعض صور أجرأة بلاغة السكاكي في الدرس التعليمي – آلية التعريف أنموذجا- استضاءة بتجربة الدكتور عماد عبد الطيف.
د دنيا لشهب..... 389
- فهرس الموضوعات: 402

ملامح تجديدية في البلاغة وتحليل الخطاب
قراءة في مشروع بلاغة الجمهور لعماد عبد اللطيف

د.نزهة خلفاوي
مركز البحث العلمي والتقني لتطوير
اللغة العربية- وحدة البحث تلمسان/ الجزائر

تهدف هذه الورقة البحثية إلى قراءة بعض الملامح التجديدية في بلاغة الجمهور، باعتبارها حقلا معرفيا جديدا يجمع بين البلاغة وتحليل الخطاب، ويعاد من خلاله تشكيل وعينا بوظيفة البلاغة في الممارسة الإنسانية التواصلية، والمؤسّسة على اللغة –لفظية وغير لفظية-وما يرتبط بها من فعل تواصلي.

كما نهدف – من خلال مقاربتنا لهذا الحقل المعرفي- إلى معالجة الأبعاد الإبستيمولوجية لمشروع بلاغة الجمهور، وهو يؤسس تصوراته ومفاهيمه وأنساقه وآلياته الكفيلة بنقله من أعلى نسق الهرم المجتمعي بوصفه علما، إلى مساحات واسعة داخل النسيج النسقي المجتمعي، عبر محاور أفقية تلتقي فيها الحقول المعرفية ذات الصلة في إطار الدراسات البينية، لتنفتح على محاور عمودية تسائل شرائح واسعة من الجماهير، وتعمل على توعيتها وتدريبها على التلقي البليغ والاستجابات البليغة.

ولا ندعي هنا أننا نحيط بكل الملامح التجديدية التي تحملها بلاغة الجمهور، غير أننا نحاول الوقوف عند نقاط نراها مهمة في بناء تصوراتنا حول هذا الحقل المعرفي الجديد والخصب، وهي السؤال المعرفي للمشروع، والتأسيس النظري له بما يحمل من بعد نسقي، والمفاهيم الرئيسة للمشروع.

1- السؤال المعرفي للمشروع:

يعود تأسيس عماد عبد اللطيف لمشروع بلاغة الجمهور إلى سنة 2005 حين كتب مقاله: بلاغة المخاطب –البلاغة العربية من إنتاج الخطاب السلطوي إلى مقاومته-، وقد حمل هذا المقال بذور فكرة طلائعية تجديدية، تحاول أن تشقّ طريقها نحو حقل جديد في الدراسات البلاغية العربية.

فبعيدا عن البلاغة القرآنية، والبلاغة الأدبية–بحسب تصنيف عماد عبد اللطيف-، ودون الانفصال عن المادة المعرفية التي أفرزها اشتغال العرب في هذين الحقلين، اختار عماد عبد اللطيف لمشروعه مجالا آخر،ارتأى أن يسميه بالبلاغة الإنشائية؛ وهي البلاغة التي تتخذ من الخطابات اليومية النابضة بالحياة موضوعا لها. ومن هنا يتأسّس مشروعه على العمل ضمن حقلين معرفيين هما البلاغة وتحليل الخطاب، باعتبار الخطاب قاسمامشتركا بينهما كونه يمثل "كل

تلفظ يفترض متكلما ومستمعا ولدى الأول هدف التأثير على الثاني بطريقة ما"[1]، فوجود هدف التأثير أثناء إنشاء الخطاب يستدعي تدخل البلاغة، بوصفها العلم المؤهل لدراسة آليات تشكّل الإقناع واستراتيجياته، فقد قدمت البلاغة منذ العصور الأولى لنشأتها ما يدعم قدرات المتكلم على تحقيق أهدافه التأثيرية والإقناعية على المستمع، ومنحه المزيد من القدرات على التلاعب باللغة وتطويعها لما يخدم مصلحة منشئها، وقد أشار الجاحظ إلى هذا الدور الخطير الذي تلعبه البلاغة قائلا: "البلاغة هي تصوير الحق في صورة الباطل والباطل في صورة الحق"[2]، موردا مثالا واضحا عن ذلك على لسان مالك بن دينار حين قال: "ربما سمعت الحجّاج يخطب ويذكر ما صنع به أهل العراق، فيقع في نفسي أنهم يظلمونه وأنه صادق لبيانه وحسن تخلّصه بالحجاج"[3]. ولعل ما جاء في البيان والتبيين من إشارة لخطورة استعمال البلاغة في التلاعب والتضليل، لا يعدو أن يكون غيضا من فيض إشارات وتصريحات تستوقفنا ونحن نقرأ أرسطو وأفلاطون والجرجاني وغيرهما. ويبدو أنّ عماد عبد اللّطيف لم يكتف بتأمّل تلك الإشارات والتّعليق عليها، بل قرّر في مرحلة ما من مراحل مساره البحثي أن يضع قطار الدرس البلاغي على سكة ثانية تسير في الاتجاه المعاكس لما أنتجته البلاغة القديمة عربية كانت أم غير عربية، في ما يتعلق بالمخاطب أو المستمع، فمن بلاغة المتكلّم ينتقل بنا إلى بلاغة المخاطب محاولا التأسيس لمعرفة علمية تمكّن المخاطبين من الوعي بالفخاخ المنصوبة لهم في الخطابات الموجهة لهم قصد استهلاكها.

وقد عرّف"بلاغة المخاطب بأنها توجه معرفي في البلاغة العربية؛ مادّته الخطابات البلاغية الجماهيرية، وموضوعه دراسة الكيفيات التي تستخدم بها هذه الخطابات اللّغة لتحقيق الإقناع والتأثير وأثر ذلك في تشكيل استجابة المخاطب، ووظيفته تقديم معارف وأدوات للمخاطب تمكّنه من مقاومة الخطابات البلاغية السلطوية"[4]. ويبدو جليا من خلال توصيف عبد اللطيف لبلاغة المخاطب، أنّه كان على وعي تام بضرورة تحديد شروط نشأة هذا الحقل المعرفي الجديد في البلاغة العربية، فنجده يقف عند ثلاث ركائز محورية هي: مادة العلم، وموضوعه/ سؤاله المعرفي، ووظيفته/ مخرجاته. وهنا تبرز ملامح التجديد في الرؤية البلاغية، فمن النص المقدّس والنصوص الأدبية المصنوعة " مادة البلاغة القديمة؛ القرآنية والأدبية على حد تعبيره"، إلى الخطابات اليومية التي يجد المواطن نفسه أمام

---

[1] EmilleBenveniste , Problèmes de linguistique générale, Edition Gallimard, Tome 1, 1966, P129-130.

[2] الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق درويش جويدي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت،ج1، ص113.

[3] الجاحظ البيان والتبيين ج1، ص103.

[4] عماد عبد اللطيف، بلاغة المخاطب: البلاغة العربية من إنتاج الخطاب السلطوي إلى مقاومته، ضمن كتاب السلطة ودور المثقف، جامعة القاهرة، 2005، نسخة إلكترونية.

محاولاتها المستمرة في التأثير عليه بشكل أو بآخر؛ونقصد تلك الخطابات في شاشات التلفاز أو على أثير الإذاعات أو في مواقع التواصل الاجتماعي، أو في اللافتات الإشهارية، أو في أماكن العبادة أو في التجمعات ذات الأغراض المختلفة، وما تتركه من آثار على متلقيها من المخاطبين.

وربما منحت دراسة عماد عبد اللطيف للبلاغة القديمة خلال سنوات دراسته العليا للماجستير، والبلاغة الجديدة خلال تحضيره الدكتوراه صاحبها الرؤية الشمولية للفكر البلاغي، لتتحول عنده إلى "مستوى الهم والانشغال الموجه– على حد تعبير محمد العمري- الذي يفسح المجال للتحليل والتأريخ لسد الفجوات "[5]، فإعادة قراءة التراث البلاغي مع هاجس بعثه بما يخدم قضايانا المعاصرة، جعل الباحث يضع يده على قضية جوهرية ليس من شأنها أن تعيد للبلاغة العربية حيويتها وإنتاجيتها فحسب، بل تجعلها قادرة على حمل تحدّي التغيير والانخراط في مشروع فكري هدفه إعادة تشكيل وعي المواطن العربي بقضاياه، من خلال منحه الأدوات الكفيلة بتمكينه من فك شفرات التلاعب والتضليل المسلطة عليه من خلال مختلف أنواع الخطابات التي تستهدفه.

وينقل نبل المسعى في هذا التوجه البلاغي مركز الاهتمام من دعم المتكلمين/ المتلاعبين، إلى دعم المخاطبين/ المستهدفين.وكأنّنا أمام محاولة لمنح البلاغة المزيد من المصداقية بالبحث في وظيفة أخلاقية لها، حيث تصبح أداة لتحرّر العقول المستضعفة/ غير الممتلكةللمعرفة والأدوات الإجرائية، من هيمنة العقول المتلاعبة/ والتي تمتلك أدوات الهيمنة والتلاعب.

وهنا؛ لن يقتصر دور البلاغة على قدرتها على تحديد وسائل الإقناع والتأثير، بل ستتعدى ذلك إلى اقتراح استراتيجيات اكتشاف شفرات الخطاب السلطوي، وآليات فك تلك الشفرات وإضعاف مقولات أصحابها، لينتقل سؤال البلاغة من:

ما الذي يجعل المتكلم بليغا؟ أو كيف نجعل المتكلم بليغا؟ أي قادرا على الإقناع والتأثير

إلى:

ما الذي يجعل المخاطب بليغا؟ أو كيف نجعل استجابات المخاطب بليغة؟ أي واعيا بما يستهدفه وقادرا على مقاومة كل أشكال الخطاب السلطوي.

ومن هذا المنطلق؛يظهر أثر بلاغة الجمهور في إعادة تشكيل وعينا بوظيفة البلاغة، وبخاصة في بعدها التواصلي الجماهيري، حيث تتحول من ممارسة تسعى إلى بناء خطاب سلطوي مع التأكّد من نجاعته/ قدرته على الإقناع والتأثير، إلى ممارسة بديلة تسعى إلى تفكيك الخطاب السلطوي وإضعافه، بمنح

[5] محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، إفريقيا الشرق، بيروت، المغرب، ط1، 1999، ص10.

المستهدفين من المخاطبين كل الأدوات والآليات الكفيلة بدعمهم وتوعيتهم، مع التأكد من نجاعة هذه الممارسة/ تسجيل استجابات بليغة.

2- بلاغة الجمهور/ التأسيس النظري:

جاء تطوير **عماد عبد اللطيف** للإطار النظري لبلاغة الجمهور تدريجياً وعلى مراحل. ففي سنة 2005 نشر اللبنات الأولى لمفهوم بلاغة المخاطب في دراسته المعنونة:بلاغة المخاطب: البلاغة العربية من إنتاج الخطاب السلطوي إلى مقاومته، والتي تطورت بصورة واضحة في مقالاته العلمية المنشورة في مختلف المجلات العلمية على مدار أكثر من عقد من الزمن، وبصورة أكثر وضوحاً في كتابيه: لماذا يصفق المصريون–بلاغة التلاعب بالجماهير في السياسة والفن-، الصادر سنة 2009 ، وبلاغة الحرية الصادر عام 2013، والذي يجسدمن خلالهما**عبد اللطيف** النزول بالعمل الأكاديمي إلى واقع الحياة الاجتماعية المعقدة والمركّبة، لا من أجل تفحصها واستلهام المادة منها فحسب، بل من أجل الانخراط في إعادة صياغتها وتعديل مساراتها التي ترهق المواطن وتنزلق به نحو اتجاهات لا تخدم مصالحه.

وقد قدّم عماد عبد اللطيف في دراسته العلمية: منهجيات دراسة الجمهور- دراسة مقارنة-، ثلاث روافد كبرى اهتمت بالجمهور في معالجتها للخطاب الذي يستهدفه، وهي البلاغة اليونانية والبلاغة العربية القديمة، والبلاغة الجديدة[6]، إذ نجده يؤسس لبلاغة الجمهور بالعودة المستمرة لما قدمه أفلاطون وأرسطو حول الخطابة، موضحا في عدة محطات موقف كل منهما، فأرسطو الذي يعتبر الجمهور ضروريا في الخطابة، يشرح كيف تتحكم طبيعة هذا الجمهور في بنائها واختيار حججها المناسبة[7]، أما أفلاطون فيؤكد على الدور الخطير الذي تؤديه البلاغة/ الخطابة في السيطرة على الجماهير، وتسخيرها لخدمة المتكلّمين الذين بإمكانهم بسهولة سلب تلك الجماهير ما تملك[8]، ومن هنا تظهر الحاجة إلى إكساب المخاطبين آليات دفاعية والعمل على تدريبهم، وهذا ما تحاول بلاغة الجمهور القيام به.

كما انتبه عماد عبد اللطيف إلى الإشارات الواردة في التراث العربي بخصوص المخاطب، خاصة ما تعلق منها بمراعاة مقتضى الحال، وحدّد المستويات التي ينبغي اعتمادها في تحليل الخطابة بناء على تأصيل الجاحظ لذلك في البيان والتبيين[9]، والذي اعتبره محطة مهمة في تعامل البلاغة العربية مع

---

[6]عماد عبد اللطيف، منهجيات دراسة الجمهور –دراسة مقارنة-، ضمن كتاب بلاغة الجمهور –مفاهيم وتطبيقات-، تحرير وتقديم صلاح حسن حاوي وعبد الوهاب صدقي، دار شهريار، العراق، ط1، 2017، ص159-160.

[7]عماد عبد اللطيف، منهجيات دراسة الجمهور دراسة مقارنة، ضمن كتاب "بلاغة الجمهور مفاهيم وتطبيقات".

[8]عماد عبد اللطيف، بلاغة المخاطب: البلاغة العربية من إنتاج الخطاب السلطوي إلى مقاومته.

[9]عماد عبد اللطيف، إطار مقترح لتحليل الخطاب التراثي تطبيقا على خطب حادثة السقيفة، مجلة الخطاب، العدد الرابع عشر، تيزي وزو، 2013.

المخاطب. وقد خلصإلى ملاحظة دقيقة مفادها أنّالمخاطب في الوعي البلاغي العربي حاضر ولا يمكن الاستغناء عنه، باعتباره الهدف من الممارسة البلاغية،وإن بدا موقعه في الظاهر هامشيا أمام مركزية المتكلم الذي تسعى جلّ الممارسات البلاغية إلى دعم قدراته، فإنّه في الواقع يمثل مركز المركز باعتبار الاهتمام بدراسة نزعاته وأهوائه وأحواله وحالاته النفسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، بغية استثمار تلك المعطيات في صياغة الحجج، وبناء الخطاب القادر على استمالته وإقناعه والتأثير في أفكاره وسلوكاته. وقد أشار عماد عبد اللطيف في هذا الصّدد إلى العديدمن الدراسات العربية التي انتبهت لإقصاء المتكلم من الانشغال البلاغي، ليقتصر دوره في الاستفادة من الترسانة الإقناعية التي تمده بها البلاغة، والبلاغة هنا بلاغة تعليمية في المقام الأوّل.

ورغم إحاطة عماد عبد اللطيف بالكثير من الأعمال التي قدمها الفكر الغربي حول المخاطب والجماهير، فإنه يعتبر كتاب بيرلمانوتتيكا من أهمها، بل يعدّه إحياء لكتاب الخطابة لأرسطو[10]، من خلال بعثه لأطروحاته الجوهرية وتطويرها بما يتناسب والتطورات التاريخية.

وقد أسّس بيرلمانوتيتيكا فيكتابهما: "المصنف في الحجاج –البلاغة الجديدة"، لحجاج جديد يبني اهتمامه على المخاطب والاقتناع، بدل ما كان سائدا من اهتمام بالمتكلم والإقناع.وتقع بلاغة الاقتناع التي يهدف إليها الحجاج البيرلماني، ما بين الإقناع العقلي والاستدلال المنطقي الصارم[11]، ومن هذا المنطلق؛ تتوجه بلاغة الإقناع إلى جمهور خاص يضم الخطباء ومحرري الخطاب والقائمين على الدعاية والإعلان والتسويق ...وغيرها، بينما تتوجه بلاغة الاقتناع إلى الجمهور الكوني العام على حد تعبير بيرلمان.

وينحاز هذا الأخير إلى العمل على بلاغة الاقتناع، معتبرا الحجاج غير ملزم وغير اعتباطي ومن شأنه أن يحقق الحرية الإنسانية من حيث هي ممارسة الاختيار العاقل[12]، وهذا ما لا تتيحه بلاغة المتكلم في البلاغات القديمة. وهنا يتموقع أيضا توجه عماد عبد اللطيف في بلاغة الجمهور .

ولا شك أن الروافد الثلاث السابق ذكرها كانت ملهمة لمشروع بلاغة الجمهور، سواء من خلال الإشارات الخفية التي التقطها عماد عبد اللطيف أثناء إعادة قراءته للتراث اليوناني والعربي وأثناء قراءته المنجز البلاغي الغربي المعاصر –على حد تعبيره-، أو من خلال الثغرات التي انتبه إليها. إذ لم يتوقف

---

[10] عماد عبد اللطيف، مناهج الدرس البلاغي العربي المعاصر: مقاربة نقدية، ضمن كتاب "اللغة العربية وآدابها: نظرة معاصرة"، جامعة كيرال، الهند، 2015.

[11] جميل حمداوي، شاييم بيرلمان رائد البلاغة الجديدة، دار الريف للطبع والنشر الإلكتروني الناظور-تطوان/المملكة المغربية، ط1، 2019.

[12] Chaïm Perelman et Lucie Olbrechts-Tyteca, La nouvelle Rhétorique: Traité de l'Argumentation, Presses Universitaires de France, 1958 p :54. 25

الباحث عند حدود القراءة التاريخية لموقع المخاطب في كل تلك البلاغات، ووصف تعاملها معه، بل اتخذ موقفا عكسيا فتح له ولنا آفاق البحث في حقل خصب وجديد بالنسبة للدرس البلاغي العربي.

ومن الواضح أن حقل بلاغة الجمهور حقل عبر تخصصي، يقوم على الدراسات البينية، وقد أشار عماد عبد اللطيف في مقاله التأسيسي إلى "ترسيم جديد لحدود علاقة البلاغة العربية مع علوم الاتصال والاجتماع والأنتروبولوجيا والعلوم السياسية وعلم النفس وتحليل الخطاب"[13]، ونقف هنا أمام علم اللغة وعلوم التواصل، باعتبارهما دعامتين رئيستين للتأسيس النظري لبلاغة المخاطب، التي تطورت لاحقا وأصبحت بلاغة الجمهور[14]، لتتموضع بكل ثبات في حقل العلوم النقدية التحررية.

ومن جهة أخرى؛ عمد عماد عبد اللطيف إلى تأسيس مشروعه البلاغي في شقه العلمي/الأكاديمي،منتبها إلى ضرورة العمل بالموازاة على تطوير شقه التقني/التدريبي والتعليمي والتوعوي، فالدارس لأهم أعمال عبد اللطيف في هذا المجال يستطيع تصنيفها بحسب الإطارين السابقين، إلى دراسات علمية موجهة للمتخصصين، ومؤلفات موجهة للمتخصصين وللعامة على وجه سواء.ونذكر في مجال الدراسات المتخصصة مقالاته الثلاث:

1.بلاغة المخاطب: من إنتاج الخطاب السلطوي إلى مقاومته (2005)

2.من الوعي إلى الفعل: مقاربات معاصرة في مقاومة الخطاب السلطوي (2009).

3.منهجيات دراسة الجمهور – دراسة مقارنة-، ضمن كتاب بلاغة الجمهور – مفاهيم وتطبيقات- (2017)

وقد حرص عماد عبد اللطيف على تحديد الأسس النظرية والمنهجية لبلاغة الجمهور من خلال هذه الإسهامات الثلاث، وبادر في المقابل إلى العمل على البعد التربوي والتوعوي لبلاغة الجمهور، من خلال مؤلفيه:

1.لماذا يصفق المصريون: بلاغة التلاعب بالجماهير في السياسة والفن

2.بلاغة الحرية

حيث سعى من خلالهما إلى تقليص الهوة بين المؤسسات الأكاديمية وما يصدر عنها من مخرجات البحث العلمي وبين الجمهور الذي يستهدفه هذا الحقل الجديد في البلاغة وتحليل الخطاب، والذي يشكل المواطن العادي نواته الأولى؛ وهذا ما جنح بالمؤلف إلى الابتعاد عن التعقيد المصطلحي، وتأكيده على البعد التربوي والبيداغوجي للكتابين.

---

[13]عماد عبد اللطيف، بلاغة المخاطب: البلاغة العربية من إنتاج الخطاب السلطوي إلى مقاومته.

[14]بحسب جوستاف لوبون، يؤدي انصهار الذات الواعية للأفراد المنخرطين مع الجماهير إلى توجيه مشاعرهم وأفكارهم باتجاه تشكيل وحدة ذهنية يختلف التعامل إزاءها مع الفرد، عن وضعه في حالته الفردية الواعية.

ولعلّ عماد عبد اللطيف من خلال هذين المؤلفين، يقدم إجابة مسبقة عن تساؤلات قد تواجه مشروعه، من قبيل كيف السبيل إلى تدريب الجمهور على فك شفرات الخطاب السلطوي، وإنتاج الاستجابات البليغة التي تخدم مصلحته؟ أو بطرح أكثر وضوحا: كيف السبيل إلى تمكين الجمهور من هذه الممارسة البلاغية الجديدة؟ ولعل أكبر تحد هنا هو جهل هذا الجمهور بالأمر وعدم وعيه بما يتعرض له من تضليل وخداع عبر خطاباتتسعى للهيمنة عليه، وبالتالي جهله بالإجراءات القادرة على تخليصه من الوقوع في فخاخ صنّاع تلك الخطابات.

وفي هذا الإطار؛ قد يكون التأليف الموجه للعامة إجراء ذا فائدة، بالنظر للدور التوعوي والتثقيفي الذي يؤديه، لكننا نعتقد أن هذا غير كاف، وقد اقترح عماد عبد اللطيف أن تتحول بلاغة الجمهور إلى نشاط يشترك فيه أشخاص متعددو الاهتمامات والاختصاصات، ذكر منهم الأكاديميين والسياسيين والإعلاميين والناشطين الاجتماعيين[15]، ونضيف هاهنا القائمين على السياسات التربوية وواضعي المناهج التعليمية، فالمدرسة تظل نواة رئيسة لتنشئة المواطن، ولعل الاهتمام بتشكيل وعيه الناقد، ومده بآليات مواجهة الخطابات، منذ مراحل تعليميه الأولى سيكون له أثر واضح في تعاطيه مع واقعه المعيش مستقبلا.

وتُمثِّلفكرة بلاغة الجمهورباعتبارها إطارا تحليليا، يتضمن علاقات ومفاهيم نظرية لها دلالات تطبيقية، نقطة بداية حقيقية في تطوير الدراسات البلاغية العربية. هذا الإطار التحليلي الجديد في الدرس البلاغي، والقائم في أبسط صوره على نقل الاهتمام من بلاغة المتكلم إلى بلاغة المخاطب، لا يعدو أن يكون دائرة متكاملة ذات طابع ديناميكي من التفاعلات بين الحقول المعرفية الموجهة بصفة أساسيَّة نحو العناية باستجابات الجمهور، ومحاولة تحقيق الحرية والمساواة بين طرفي الفعل التواصلي: المتكلم/ المخاطب.وتبدأ هذه الدائرة الديناميكية بالمدخلات؛ والتي تفترض بلاغة الجمهور بأنها تمثل الخطاب السلطوي، وتنتهي بالمخرجات؛ والتي تمثل استجابات الجمهور سواء كانت بليغة أم غير بليغة. وتقوم الممارسة البلاغية بالربط بين نقطتي البداية والنهاية، أي بين المدخلات والمخرجات من خلال نقل أسئلتها المعرفية من تحديد علل بلاغة المدخلات (استراتيجيات التأثير والإقناع)، إلى تحديد العلاقات بين هذه العلل واستجابات الجمهور لها، ومن ثمّ تقديم تغذية راجعة للجمهور تتمثل في مده بأدوات مقاومة وإضعاف المدخلات،وإنتاج استجابات بليغة كما يوضحه الشكل التالي:

15عماد عبد اللطيف، بلاغة المخاطب: البلاغة العربية من إنتاج الخطاب السلطوي إلى مقاومته.

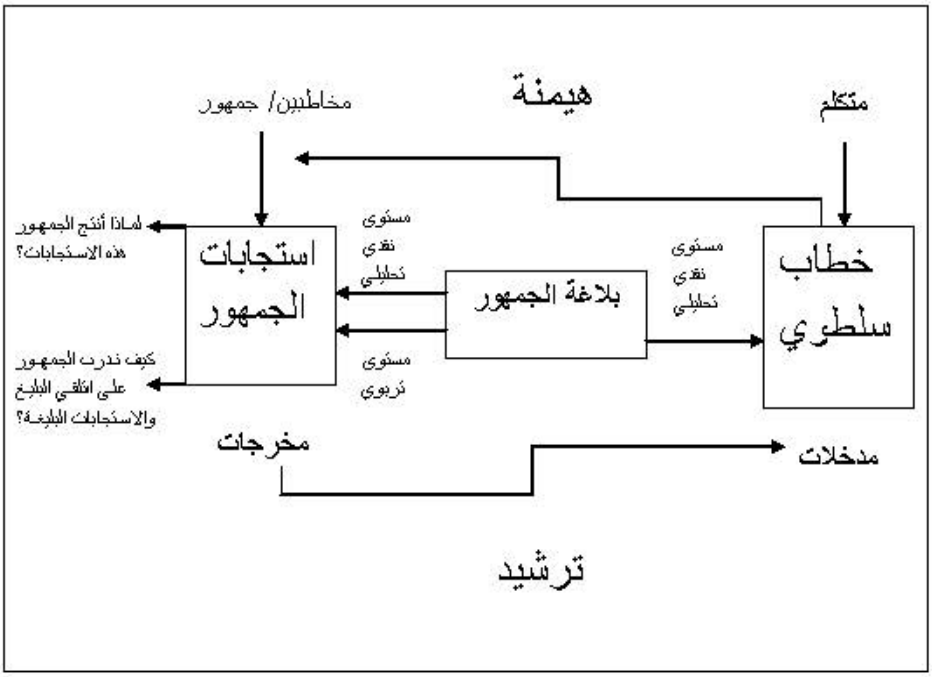

3- التأسيس النظري/مقاربة نسقية:

يرتبط مفهوم النسق المعرفي في الفكر الحديث بالبحوث التي قدمتها دراسة الأطر الاجتماعية للمعرفة، وما انتهت إليه من تصورات تكشف عن تغير أشكال المعرفة وعلاقاتها عبر العصور المختلفة. وتأسيس هذا المفهوم في بحث الظواهر البلاغية ضروري لمتابعة التحولات التي تفرض على الباحث المعاصر اتخاذ موقف منهجي صحيح في التعامل مع المادة التي يتقدم لدرسها، ومعرفة علاقاتها ببقية وحدات المنظومة التي تستمد منها مقولاتها[16].

وفي هذا الإطار؛ تضع بلاغة الجمهور نفسها في حقل العلوم النقدية التحررية[17]، حيث يأخذ مفهوم التواصل إلى جانب النقد أبعادا مهمة داخل الإطار النظري لمدرسة فرانكفورت، وخصوصا عند هبرماس الذي يسعى إلى تقديم مشروع أو أنموذج فكري يقوم على التحرر، ومفتاح هذا التحرر موجود بحسب وجهة نظره في التواصل والنقاش التداولي بين مواطنين متساوين[18]، ومن هذا المنطلق تسعى نظرية أخلاق التواصل التي يقدمها هابرماس إلى الكشف عن التشويه القائم في التفاعل والتواصل، وإصلاحه وكذلك التحرّر من سلطة الأصنام والأوهام.وهنا؛ تتقاطع بلاغة الجمهور مع هذا الطرح المؤمن بالتصحيح التطوري المستمر والتدريجي للمجتمعات، من خلال الاشتغال على بلاغة

---

[16] صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، نسخة إلكترونية صادرة عن عالم المعرفة، الكويت، 1978، ص9.

[17] عماد عبد اللطيف، بلاغة المخاطب: البلاغة العربية من إنتاج الخطاب السلطوي إلى مقاومته.

[18] يورغن هابرماس، المعرفة والمصلحة، ترجمة حسن صفر، مراجعة ابراهيم الحيدري، منشورات الجمل، 2001.

المخاطبين والعمل على تزويدهم بالمعرفة والمهارات الكفيلة بمساعدتهم على مواجهة خطاب الهيمنة. وهنا تجد بلاغة الجمهور نفسها أمام تحد التأسيس لتفكير شمولي، الذي قد يجعلها مضطرة لبناء نظرية نسقية خاصة بها،قد تستوحى من نظريات الأنساق الفيزيائية أو البيولوجية[19]، على غرارتطوير علوم الإعلام والاتصال للبراديغمالسينبرطيقي، الذي يدرس عمليات الضبط والتوجه في العملية الاتصالية وسبل التحكم فيها[20]. ولعل بلاغة الجمهور في مراحل لاحقة ستكون بحاجة إلى دراسات تهدف إلى بناء نماذج التحليل النسقي لمختلف المواضيع التي تطرحها، بدل الاعتماد المطلق على "النظريات ذات الطابع الفلسفي والتي قد تحيد بنا عن الدقة العلمية"[21]، مستمدة توهجها وديناميكيتها من العلاقات الأساسية بين الحقول المعرفية ، فإن كانت تتموقع ضمن حقل العلوم النقدية التحررية، فإن حقل علوم اللغة وحقل علوم الاتصال بما ينضوي تحتهما من تخصصات علمية دقيقة ومتشابكة مع مختلف العلوم الإنسانية والتأويلية، يعدّان الدعامتين الرئيستين للأساس الابستيمولوجي الذي تقوم عليه . ولعل اللغة تمثل ذروة النسق المعرفي –على حد تعبير صلاح فضل- المتصل ببلاغة الجمهور، وتظل اللغة هنا مفتوحة على ما هو لفظي وغير لفظي من أدوات التواصل.

4- المفاهيم

للمفاهيم أهمية كبرى في التأسيسلنظرية عامة وشاملة لبلاغة الجمهور –في اعتقادنا-، فالمتتبع لما قدمه عماد عبد اللطيف في هذا الحقل يستطيع الوقوف على مجموعة من المفاهيم المترابطة منطقياً في إطار متكامل، وعلى درجة عالية من التجريد تُمَكِّن من القيام بالتحليل وتوجيه الاهتمام نحو المحددات الرئيسية لبلاغة الجمهور، وذلك باعتبار هذه المفاهيم تشير إلى متغيرات هذه الممارسة البلاغية من وجهة نظر صاحبها.وسنقف في هذه الورقة البحثية عند ثلاث مفاهيم رئيسة هي: الخطاب السلطوي، والوعي النقدي للمواطن،والاستجابات البليغة، ولعل اختيارنا لهذه المفاهيم يتأسس على النموذج المقترح سابقا والمستوحى من الأطر النظرية لبلاغة الجمهور.

يمثل الخطاب السلطوي من وجهة نظر عماد عبد اللطيف وحدة تحليل رئيسة في مقاربة بلاغة الجمهور، ويُعَرَّفْ بأنه الخطاب الذي ينجز ويدعم

---

[19] بول ريكور، من النص إلى الفعل –أبحاث التأويل-، ترجمة محمد برادة وحسان بورقية، نسخة إلكترونية، ص254.

[20] يعد البراديغم بمثابة المنظور الإرشادي الخاص بنوعية معينة من البحوث دون غيرها والتي تسهل على الباحثين عملية البحث العلمي في إطار هذا البراديغم كونها تقدم لهم الآليات التي بموجبها يتم توجيه البحث والتحكم العلمي به لضبط نتائجه، وتخضع هذه البراديغمات على أساس الفكر الابستيمولوجي إلى مدرستين كبيرتين؛ إحداهما كمية والثانية كيفية، كما يحتوي على مجموعة من النماذج لعل من أشهرها النموذج الرياضي لشانون

[21]بول ريكور، من النص إلى الفعل –أبحاث التأويل، ص255..

سيطرة حائز الخطاب على المستهلكين له[22]، ويقوم التحليل الذي يتمّ داخل الخطاب السلطوي على مقاربات مختلفة باختلاف الحقول المعرفية المستندة إليها، وقد أوضح عماد عبد اللطيف الفروق بين أربع مقاربات معاصرة تهتم بتحليل الخطاب السلطوي وهي: التحليل الناقد للخطاب، والبلاغة الناقدة، والكلام المضاد وبلاغة الجمهور.ولعل ملمح التجديد في المقاربة الأخيرة يكمن في ما تطرحه من أسئلة مغايرة تسعى إلى بناء معرفة بالكيفيات التي يمارس بها الخطاب سلطته، حيث إن هذه المعرفة ليست غاية في حد ذاتها كما في مقاربات أخرى، بل إنها تمثّل الأساس الذي يتم بموجبه اقتراح ممارسات لتطوير استجابات الجمهور وتعديلها بما يمكنه من مقاومة الخطاب السلطوي، وتعيد بلاغة الجمهور بناء بعض المفاهيم ذات الصلة انطلاقا من أسسها الإبستمولوجية. فالخطاب البليغ من هذا المنطلق؛ هو كل خطاب غير سلطوي. والمتكلم البليغ هو المتكلم القادر على إنتاج خطاب غير سلطوي والمخاطب البليغ هو المخاطب الواعي بحقيقة الخطاب السلطوي والقادر على مقاومته عن طريق تقديم استجابات بليغة. وكأننا هنا أمام محاولة لإحداث نوع من التوازن بين أطراف العملية التواصلية، تتولد من خلاله ديمقراطية تداولية ترتقي بالممارسة الإنسانية التواصلية كلما زاد اشتغالها على تعميق الوعي النقدي للأفراد العاديين.

ويعد مفهوم الوعي النقدي للمواطن، مجالا ديناميكيا لنشاط بلاغة الجمهور التي تتوجه بأدواتها وإجراءاتها نحو الأفراد العاديين، بهدف تحريرهم من "سلطة اللغة السحرية والقوة الكلامية المسيطرة"[23] التي تستهدفهم، وهي تتشكّل خطابات متعددة تملأ تفاصيل حياتهم محاولة التأثير على آرائهم ومعتقداتهم، بجعلها تتخذ اتجاها معينا قد لا يخدم مصلحتهم[24]، وهنا تظهر قيمة وظيفة العقل الفاعل النقدية، والمتمثلة في الكشف عن آليات الالتواء التي تغدو بها وضعيات الرابطة المشروعة بين الجماهير استلابا لا يطاق[25]. إنّتموقع بلاغة الجمهور ضمن العلوم النقدية التحررية يمنحها الدافع للعمل -زيادة على فك شفرات كل خطاب سلطوي بغية إضعافه- على إعادة تشكيل وعي المخاطب/الجمهور وتحريره من شتى أنواع الهيمنة التي تمارسها عليه الخطابات السلطوية من منطلق أن لا حرية بلا وعي.

---

22 عماد عبد اللطيف، من الوعي إلى الفعل: مقاربات معاصرة في مقاومة الخطاب السلطوي، مجلة ثقافات، العدد 22 ،كلية الآداب، جامعة البحرين، 2009.

23 التضليل الكلامي وآليات السيطرة على الرأي -الحركة السفسطائية نموذجا-، كلود يونان، دار النهضة العربية، نسخة إلكترونية.

24 سيكولوجية الجماهير، غوستاف لوبون، ترجمة هشام صالح، دار الساقي بيروت، ط1، 1991.

25بول ريكور، من النص إلى الفعل، ص20.

أما إنتاج الاستجابات المضادة للخطاب السلطوي بوصفها استجابات بليغة، فتصل بحقل بلاغة الخطاب إلى ذروة طموحه، فمن خلال تحقيقها يتجسد نجاح البعد التربوي والتوعوي لهذه الممارسة البلاغية. وتمثل فظاءات تداول خطابات الجمهور مساحة خصبة تبرز فيها قوة الجماهير وقوة بلاغتها، وهنا يركز عماد عبد اللطيف اهتمامه على هذه الفضاءات منتبها لنقاط دقيقة تحمل في طياتها ملامح التجديد والتطوير، نورد بعضها في ما يلي:

- يشكل المواطن العادي المكون الأساسي للجمهور؛
- الجمهور متباين بتباين توجهاته وخلفياته الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والإيديولوجية؛
- رغم تباين الجمهور فإن الخطاب السلطوي الذي يستهدفه ينشئ بطريقة ما علاقة تربط بين مختلف الأفراد، تقوم على الهدف الذي يتوخاه خطاب الهيمنة ،والاستجابة المتوقعة/ المشتركة من مجموعة الأفراد؛
- رغم أن فضاءات تداول خطابات الجمهور تمثل أحد أوجه قوته وقوة بلاغته التي تتمكن في كثير من الأحيان من قلب المعادلة، والتأثير على الخطاب السلطوي بل ودفع منشئه إلى تعديله، تظل ذات تأثير محدود ما لم يستفد هذا الجمهور من ممارسات تعليمية وتثقيفية وتوعوية تؤهله لإنتاج استجابات بليغة؛
- الاستجابات البليغة ليست منتهى طموح بلاغة الجمهور في تعاطيها مع المخاطبين، فتجنيب هذا الجمهور إعادة إنتاج خطاب القهر والهيمنة، تعد من أولويات هذه الممارسة التي تسعى إلى مقاومة تشكّل الخطاب التسلطي لدى مختلف الأطراف.

ولعل مناقشة مفاهيم الخطاب السلطوي، والوعي النقدي للمواطن، والاستجابات البليغة يقودنا إلى التأكيد على ما تطرحه الفضاءات الافتراضية من تحديات على مشروع بلاغة الجمهور الذي يجد نفسه مطالبا باستمرار بتطوير مناهجه وأدواته بل وروافده المعرفية.

ولعل هذا الحقل سيجد نفسه مضطرا مستقبلا إلى التعامل مع حقول معرفية جديدة وأدوات بحثية متجددة من قبيل الذكاء الاصطناعي، والتعلم الذاتي، والإحصاء اللساني، وتحليل المحتوى،من أجل ضمان تحقيق بعده التربوي والتثقيفي، بالنظر إلى ما ينشده من نتائج، ولعل انخراط البلاغيين مع الباحثين من التخصصات السابق ذكرها وتخصصات أخرى في مشاريع بحثية مشتركة، سيكون السبيل الأنجع لتطوير بلاغة الجمهور وتأهيله لمواكبة التغيرات المعرفية وثورة المعلومات والرقمنة، والتي لم تغفل عنها بلاغة الإقناع المستثمرة بذكاء وفاعلية من قبل مؤسسات المعلومات والتسويق والدعاية وغيرها.

ولا بد من الإشارة في ختام هذه الورقة إلى احتفاظ بلاغة الجمهور بنبل المسعى، و الذي يجسده طموحها في أن لا تظل الممارسة البلاغية حكرا على فئة معينة أو فعلا نخبويا، بل أن تتحول إلى ممارسة مجتمعية تنزل بالبلاغة بوصفها علما، من أعلى هرم النسق المجتمعي، وتحكم الإحاطة بالعناصر التي تتشكل بموجبها وتتحرك داخلها، إلى محاور أفقية وعمودية تفاعلية، تتأسس داخل أنساقها التصورات والنماذج والآليات على محور الباحثين المتخصصين، والمنفتح على مختلف الاتجاهات المعرفية التي تمنحه مصداقية تأطير المجموعات الواسعة من الجمهور على المحور العمودي، في تغلغل منظم داخل الأنساق المجتمعية، حيث المأمول من هذه الحركة هو خلق وعي مؤسس لدى العامة، تبرز قيمته بمدى انحسار الخطابات السلطوية وخطابات المقت والعنصرية، وشيوع نماذج تواطلية ديمقراطية.